الآداب
المجلد:21، العـــدد:01، ديسمبر 2021
الصفحات:481 - 502

البعد التداولي للإشاريات في النص الأدبي بالطور الثانوي / قصيدة حالة حصار لمحمود درويش أنموذجا

The pragmatic dimension of deixis in the literary text at the secondary school level\ The poem “A State of Siege” by Mahmoud Darwish as a model

ط.د. خولة بوحناش[1]

د. إيمان جربوعة[2]

[1] مخبر الدراسات التراثية، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1– الجزائر، khoula.bouhnnache@umc.edu.dz

[2] مخبر الدراسات التراثية، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1– الجزائر، imane.djerboua@umc.edu.dz

تاريخ الإرسال: 2021/08/27 **تاريخ القبول:** 2021/11/13 **تاريخ النشر:** 2021/12/15

ملخص:

الإشاريات آلية من آليات التداولية وهي مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام سواء من حيث وجود الذات المتكلمة أو حضور الزمان والمكان في الخطاب.

ويهدف هذا البحث إلى استجلاء الأبعاد التداولية للإشاريات بمختلف أنواعها في قصيدة شعرية بعنوان "حالة حصار" للشاعر الفلسطيني محمود درويش، فهذه العناصر الإشارية لها دور بارز في تشكيل بنية الخطاب الشعري وملفوظاته القولية ووصلها بالسياق العام الذي يتفاعل معها.

كلمات مفتاحية: الإشاريات، السياق، الخطاب الشعري، التداولية، محمود درويش.

Abstract:

Deixis is among the pragmatic mechanisms. It is a concept that combines all linguistic elements which refer directly to the context in terms of the speaking person, a specific time, or place in the discourse.

المؤلف المراسل: خولة بوحناش.

This research work aims at clarifying the different types of the pragmatic dimensions of deixis in the poem A State of Siege by the Palestinian poet Mahmoud Darwish. These deictic elements have a major role in composing the structure of the poetic discourse and its deictic words linking it to the general context which interacts with them.
Keywords: Deixis; the context; the poetic discourse; pragmatics; Mahmoud Darwish

مقدمة:

مثل التيار التداولي أحد التيارات اللسانية الحديثة في مجال البحث اللغوي اللساني، حيث تبنى رواده توجها جديدا في دراسة اللغة قائم أساسا على دراستها في سياق استعمالاتها المختلفة، إذ تهتم التداولية بدراسة اللغة في الاستعمال والعلاقات الموجودة بين العلامات ومستخدميها، فهي تجاوزت المفاهيم التقليدية التي نصت عليها باقي النظريات اللغوية التي اختصت بمعالجة اللغة من الناحية الشكلية مقصية بذلك الظروف الخارجية التي تسهم في تكوين بنية الخطاب اللغوي.

والتحليل التداولي كأي تحليل لغوي يتأسس على جملة من المفاهيم التي تمثل أساسياته وأصوله وقد حصرها الدارسون في الأساسيات التالية: الاستلزام الحواري، الافتراض المسبق، نظرية أفعال الكلام، الحجاج، السياق، الإشاريات، وتهتم هذه الأخيرة بدراسة العلامات اللغوية الخالية من أي معنى في ذاتها والمرتبطة بالسياقات الواردة فيها، ولعل الخطاب الشعري هو أكثر الخطابات اللغوية التي تتجلى فيها الإشاريات بشكل بارز، وهذا راجع إلى طبيعته التي تفرض على المتلقي معرفة العوامل المتحكمة في تكوينه، وبالتالي كشف خفاياه وفهم مدلولاته. الأمر الذي دفعنا إلى طرح الإشكالية التالية: ما هي الأبعاد التداولية للإشاريات في قصيدة حالة حصار لمحمود درويش؟ وكيف عبرت هذه الإشاريات عن المقاصد الخطابية للشاعر من خلال هذا النص؟

1.النص الأدبي وأهميته في العملية التعليمية بالطور الثانوي:

يمثل نشاط النص الدعامة الأساسية التي تبني شخصية المتعلم المعرفية واللغوية، وتختلف أنواع النصوص المدرجة في الكتاب المدرسي بين النصوص التواصلية ونصوص المطالعة الموجهة والنصوص الأدبية، والنص الأدبي "قطع مختارة من التراث الأدبي يتوافر لها حظ من الجمال الفني وتعرض على

التلاميذ فكرة متكاملة أو عدة أفكار مترابطة...ويمكن اتخاذها أساسا لأخذ التلاميذ بالتذوق الأدبي"[1]، فنشاط النص الأدبي أهم الأنشطة التعليمية المبرمجة في المنهاج الدراسي لما يتميز به من تنوع في عرض الأنماط الأدبية المعروفة (القصة، المسرحية ، المقال، الشعر...) في شكل نصوص تعليمية.

وتكمن أهمية هذا النشاط فيما يلي:

. " في النص الأدبي تتم المعالجة الأدبية والنقدية ويتم الاستثمار في النواحي اللغوية بغرض ضبط اللغة وتنمية ملكة التذوق الفني"[2].

. "التأكيد على التحليل وتمرين المتعلم على الإنتاج"[3].

. الارتقاء بأسلوب المتعلم الشفهي والكتابي وإنماء رصيده اللغوي.

. "درس الأدب مادة لغوية ومادة ثقافية وإنسانية"[4].

2.الإشاريات مبحثا تداوليا:

يقوم البحث التداولي على عدة مفاهيم لدراسة الظواهر اللغوية ومن بين هذه المفاهيم توجد الإشاريات وقد تسمى المعينات وتعرف بأنها:" مجموعة التعبيرات الإشارية التي تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي يستقي تفسيرها منه، وهي المتكلم والسامع وزمن المنطوق ومكانه"[5] ،وهذا التعريف يشير إلى أهمية السياق في تحديد دلالات ومقاصد المبهمات الإشارية المتعلقة بالذات المتكلمة أو بالإطار المكاني والزمني التي تمثل أساسيات تكوين بنية الخطاب اللغوي، وهذا ما يؤكده ظافر عبد الهادي الذي يعد: "الإشاريات علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي الذي وردت فيه لأنها خالية من أي معنى في ذاتها"[6].

وهي تنقسم إلى أنواع هي: الإشاريات الشخصية والإشاريات الزمنية والإشاريات المكانية سنعرض لها بشيء من التفصيل في العنصر الموالي.

3. تداولية الإشاريات في قصيدة حالة حصار لمحمود درويش:

لقد عجت المقاطع الشعرية في قصيدة حالة حصار لمحمود درويش بمختلف أنواع الإشاريات في مزيج متنوع بين الإشاريات الشخصية والزمنية والمكانية، ونروم فيما يأتي تحليل أهمها بغية استجلاء البعد التداولي الذي أضفته على الأبيات:

1.3 الإشاريات الشخصية:

الإشاريات الشخصية هي مجموعة الوحدات اللغوية التي تعبر على الأنا المتلفظة في الخطاب وتعرف بأنها: "الإشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطَب أو الغائب، فالذات المتلفظة تدل على المرسَل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه، فالذات هي محور التلفظ في الخطاب التداولي"[7]، وبهذا تكون الإشاريات الشخصية أشكالا لغوية متحولة تعبر عن الأنا المتلفظة في الخطاب؛ سواء أكانت هذه الأنا تدل على المتكلم أو المخاطَب أو الغائب ويتحدد معناها حسب السياق الذي ترد فيه.

وتضم الإشاريات الشخصية الضمائر بأنواعها وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وتقسم الضمائر حسب الحضور إلى ضمائر المتكلم، ضمائر المخاطَب، أسماء الإشارة وحسب الغيبة إلى ضمائر الغائب والأسماء الموصولة.

1.1.3ضمائر المتكلم: يقصد بها "تلك الضمائر التي تدل على المتكلم وحده مثل أنا، تاء المتكلم، ياء المتكلم أو تلك الضمائر التي تدل على المتكلم ومعه غيره مِثّل: نا ونحن"[8].

وردت ضمائر المتكلم بنوعيها المتصلة والمنفصلة الدالة على ذات الشاعر المتكلمة واشتراكه مع شعبه في قضية واحدة، فقد حاول الشاعر إيصال الحقيقة الكامنة في نفسه للمتلقي(المتعلم)، بطريقة فنية إبداعية طغى عليها طابع التصوير والتجسيد الواقعي للأحداث الشنيعة التي يعيشها الشعب الفلسطيني من طرف الاحتلال الصهيوني، ويظهر ذلك في قوله:

نَفْعَلُ مَاْ يَفْعَلُ السّجَناء، نربي الأمل
بلادٌ على أهبّة الفجر. صِرْنَا أقلّ ذكاءً
لأنّا نحملق في ساعة النّصر[9].

أحال ضمير المتكلم المتصل (نا) إحالة مقامية على عمق الواقع الفلسطيني المعاش الذي صوره الشاعر في هيئة السجن الذي يقيد حرية الإنسان ويكبت على نفسه ويجعله يفقد طعم السعادة والطمأنينة؛ هو واقع مؤلم فرضته قوى الاستعمار على الشعب الفلسطيني الذي أصبح أسيرا ومسجونا في وطنه لا يستطيع ممارسة حياته بشكل طبيعي، وهذا الشعور بالأسر يكبر معهم كل ما زادت مدة الاحتلال، في مقابل ذلك يصف لنا محمود درويش غدر ووحشية الكيان الصهيوني المحتل الذي لا يكل ولا يمل من حياكة الخطط والخدع وارتكاب أبشع الجرائم من أجل غاية حتمية هي السيطرة على الأراضي الفلسطينية واستعباد شعبها، وذلك في قوله:

أعداؤنا يسهرون وأعداؤنا يشعلون لنا النور

في حلكة الأقبية[10].

عمد الشاعر كذلك إلى توظيف ضمير المتكلم "نحن" كثيرا في ثنايا القصيدة ليرسخ للمتلقي(المتعلم) فكرة الانتماء والوحدة والاشتراك في ثنائية الحزن والألم والقهر والظلم التي يتذوقها الشعب الفلسطيني، حيث يقول:

نحزن أحزاننا في الجرار، لئلا

يراها الجنود فيحتفلون بالحصار

نخزنها لمواسم آخرى[11].

دل ضمير المتكلم (نحن) في هذا المقطع تداوليا على دلالة العزيمة والقوة، فمن خلال سياق الأبيات يتضح أن الشعب الفلسطيني يمتلك القدرة على تخطي جميع مظاهر الحزن والألم وإخفائها في داخله وكتمها بحرص شديد، رغبة منه في عدم إظهارها للعدو الغادر الذي يفرح ويسر بهذا الانهزام ويتلذذ بطعم الشماتة والاحتفال بانكسار الشعب وضعفه؛ وهذا إن دل على شيء إنما يدل على القوة الإيمانية الكبيرة التي يتحلى بها الشعب الفلسطيني وإصراره على كسر قيود الذل والضعف.

في جانب آخر عبر الشاعر عن مشهد مؤلم يعيشها هو وأهل بلاده يوميا، إذ يقول:

نقيس المسافة

بين أحسادنا والقذيفة

بالحاسة السادسة[12].

يشير ضمير المتكلم(نحن) في هذا المقام إشارة بعدية إلى مشهد الجزع والخوف والهلع من قذيفة مفاجئة تنهي حياة الإنسان؛ إنها حقيقة مرعبة وواقع فضيع يعكس معاناة الشعب واضطهاده وانعدام المفاهيم الإنسانية للعدو المغتصب، كما تعكس الأبيات الشعرية أيضا إبداعية محمود درويش وقدرته على التمثيل والتصوير، فلا أحد يستطيع أن يصور الواقع الفلسطيني كما يصوره أبناؤه الذين يعايشون طعم المأساة والظلم.

في المقابل ذلك ورد الضمير المنفصل (نحن) في بعض المقاطع الشعرية من بينها قول محمود درويش:

وحيدون، نحن

وحيدون حتى الثمالة

لولا زيارات قوس قزح[13].

وظف الشاعر ضمير المنفصل الدال على الجماعة (نحن) ليعبر من خلاله تداوليا عن مفهوم الانتماء، فهو يعيش حالة نفسية مع شعبه ويتجرع نيران الألم والوحدة، فقد شبه الشاعر الواقع المعيش بشخص سكران لحد الثمالة لا يفرق بين يمينه وشماله؛ ووجه الشبه الموجود بين الصورتين هو أن الشعب الفلسطيني يحاول تناسي المأساة والخوف الذي يعيش فيه بزخات الأمل والتفاؤل بغد مشرق ومستقبل زاهر.

وفي سياق متصل دمج محمود درويش في قصيدته "حالة حصار" بين ضمير المتكلم الدال على الجمع (نحن) وبين ضمير المتكلم الدال على المفرد (أنا)، وهذا التنويع أو الدمج في توظيف الضمائر أضفى على القصيدة طابع التميز والجمال، وكأن الشاعر ينتقل بنا من حالة شعورية إلى حالة شعورية آخرى بأسلوب فني ممتع.

يقول درويش:

حرٌّ أنا قرب حريتي

وغدي في يدي

سوف أدخل عما قليلٍ حياتي

وأولد حرًا بلا أبوين[14].

ثمة ملمح إشاري في هذا المقطع يتمثل في استعمال الشاعر لضمير المتكلم (أنا)، حيث عبر من خلاله عن الحالة الشعورية التي يحس بها الإنسان عندما يكون مسجونا نفسيا في وطنه، فالشاعر في هذا الموضع بالذات يتكلم على لسان شخص على حافة الموت؛ يرى بأنه قريب من الحرية ونيل الشهادة والانتقال إلى حياة جديدة لها طعم خاص يكون فيها حرا طليقا وغده أحسن من حاضره. في موضع آخر يقول الشاعر:

سأصرخ في عزلتي

لا لكي أوقظ النائمين

ولكن لتوقظني صرختي

من خيال سجين![15]

منح الضمير المتصل (أنا) في هذا الموضع مجالا رحبا ترجم فيه الشاعر أحاسيسه وأفكاره في ظل الاضطراب الشعوري النفسي الذي يسكن فؤاده خاصة شعوره بالقيد والأسر، فهو لا يشعر بالطمأنينة والهدوء على الرغم من أنه يعيش في أرضه بين خلانه وأحبابه، وهذا الأمر سبب له أزمة نفسية يحاول التخلص منها بالصراخ في مواطن العزلة والوحدة؛ وهذا ما يدل على حضور ذاتية الشاعر كمرجع أساسي في عملية فهم مدلولات القصيدة.

2.1.3 ضمائر المخاطَب: هي "الضمائر التي يتم استخدامها عندما يكون الكلام موجه إلى شخص نخاطبه، وفي هذا الصدد يقول سيبويه: أما المخاطَب فعلامته إن كان واحدا أنت وإن خاطبت اثنين أنتما وإن خاطبت جمعا أنتم"[16].

استعمل الشاعر ضمائر المخاطَب باعتبارها علامات إشارية تحمل دلالات ومعاني خفية يعمل المتلقي(المتعلم) على اكتشافها وتحديد مدلولاتها، وقد تنوعت أبعادها في قصيدة حالة حصار ويتبين ذلك في قول الشاعر:

أيها الواقفون على عتبات البيوت، ادخلوا

واشربوا معنا القهوة العربية

فقد، تشعرون بأنكم مثلنا[17].

أضفى ضمير المخاطَب (أنتم) في سياق الأبيات بعدا تداوليا؛ حيث استخدم الشاعر صيغة التلميح فهو لم يصرح مباشرة باسم المقصود من الأبيات، وهذا ما يجعل المتلقي يؤول معنى الخطاب بأن المقصود من هذا النداء(أيها الواقفون على عتبات البيوت) هو العدو الصهيوني فالشاعر يخاطبه ويدعوه إلى الدخول وتناول القهوة العربية، حيث تظهر رغبة الشاعر وجنوحه إلى السلم والتعايش مع الطرف الآخر في عدل ومساواة؛ والحقيقة الأكيدة التي يرغب الشاعر إيصالها أن جميع البشر مِثّل بعضهم، لهذا لا بدا من إحقاق الحق حتى تسود الطمأنينة بين الطرفين.

لقد نوع محمود درويش في نصه الشعري بين ضمائر المخاطَب الدالة على الجمع والدالة على المفرد في مواضع عدة من بينها قوله:

إلى قاتل:

لو تأملت وجه الضحية وفكرت

كنت تذكرت أمك في غرفة الغاز

كنت تحررت من فكرة البندقية

وغيرت رأيك

ما هكذا تستعاد الهوية![18]

أشار ضمير المخاطب (أنت) إشارة قبلية إلى القاتل أو جندي الكيان الصهيوني المحتل الذي دخل في حرب دامية من أجل استعادة هويته المزعومة وأحقيته في امتلاك الأراضي الفلسطينية لاعتبارات

دينية، في مقابل ذلك يبدي الشاعر موقفه ورأيه من هذه الحرب بعبارة (ما هكذا تستعاد الهوية)؛ بمعنى أن الكرامة والهوية لا تسترجع بالتقتيل والإجرام والنهب والسطو على أملاك الآخرين.

في موضع آخر يقول محمود درويش على لسان أم:

إذ لم تكن مطرا يا حبيبي

فكن شجر مشبعا... بالخصوبة

وإن لم تكن حجرا يا حبيبي

فكن قمرًا

في منامة الحبيبة كن قمرًا[19].

استعمل الشاعر ضمير المخاطَب المستتر(أنت) مقرونا بفعل الأمر الذي يدل على الديمومة والاستمرارية، ويحيل تداوليا من خلال سياق الأبيات إلى معنى الألم الحقيقي، فقد جسد لنا الشاعر من خلال هذا التركيب الشعري قمة المعاناة التي تعيشها الأم الفلسطينية كل يوم نتيجة فقدانها لفلذة كبدها، فهي ترثيه بعبارات جميلة وحزينة تعكس مدى القهر والوجع الذي يسكن فؤادها وهذه الحالة ستستمر باستمرار وجود احتلال الكيان الصهيوني.

3.1.3. اسم الإشارة: هو "من الأسماء المبهمة أيضا فهو يدل على المشار إليه بإشارة حسية ضمن سياق خارجي، إذ لا بدا من وجود المشار إليه والمتكلم والمخاطَب"[20].

تنوعت أسماء الإشارة وتعددت مدلولاتها في قصيدة "حالة حصار" نذكر منها قول درويش:

سيمتد هذا الحصار إلى أن

يحس المحاصِر، مِثّل المحاصَر

أن الضجر صفة من صفات البشر[21].

عمد الشاعر في هذا المقطع الشعري إلى توظيف اسم الإشارة المذكر (هذا) ليشير من خلاله تداوليا إلى مفهوم الصبر والثبات في مواجهة الصعاب والعوائق، وكأن الشعب الفلسطيني بإصراره على تحمل الحصار يمرر رسالة مشفرة إلى الكيان الصهيوني المحتل أن الاستسلام والخضوع ضرب

مستحيل ولا بدا من مقابلته بالعزيمة والقوة، حتى يحس الطرف المحاصَر بالملل والضجر وإنهاء الحصار.

4.1.3 ضمير الغائب: هو "الضمير الذي يكون صاحبه غير معروف لأنه غير حاضر، فلابدا لهذا الضمير من شيء يفسره ويوضح المراد منه ..."[22].

وقد ورد الضمير الغائب المنفصل بكثرة في مدونة التطبيق، وسنورد بعض المقتطفات الشعرية للتحليل، يقول الشاعر:

الألم هو: أن لا تعلق سيدة البيت

حبل الغسيل، وتكتفي بنظافة هذا العلم[23].

الشاعر أسند كلامه إلى ضمير الغائب (هو) الذي أحال من خلاله إحالة مقامية إلى المفهوم الصحيح للألم، فالشاعر هنا عبر عن الحرمان الحقيقي الذي تعيشها المرأة الفلسطينية، فهي محرومة من أبسط حقوقها حتى أنها لا تستطيع نشر حبل الغسيل في الخارج خوفا من الاعتداء والموت، وهذا ما يؤكد همجية الكيان الصهيوني المحتل الذي تنعدم لديه مظاهر الرحمة والشرف.

وقد تكرر الضمير الغائب أيضا في قول الشاعر:

الحصار هو الانتظار

هو الانتظار على سلم مائل وسط عاصفة[24].

يحيل الضمير (هو) تداوليا في هذه الأبيات على ماهية الحصار الذي يتخلله الانتظار، ذلك الانتظار القاتل الذي يقتل الإنسان ببطء؛ فالشاعر جسد صورة تمثيلية خيالية شبه من خلالها لحظات الانتظار بسلم مائل في عاصفة هوجاء، فلا يسقط ويتحطم ولا يستقيم ويأخذ مكانه هكذا الحصار بالنسبة للشعب الفلسطيني، فلا هو قاتل مميت مباشرة ولا هو محرر؛ إنما هو إستراتيجية معتمدة من العدو لإرضاخ الشعب وإهانته والزيادة في عذابه.

دراسة في ضوء آليات المنهج الأسلوبي لقصيدة "إمّا تَرَيْ ظُلَلَ الأَيَّام" للنّابغة الجعدي

واسم الشرط واسم الإشارة، ولكنه يتصل بجملة يقال لها صلة الموصول؛ ولهذه الجملة وظيفة مهمة لأنها هي التي تحدد المقصود منه"[25].

فالاسم الموصول لا يحمل معنى في ذاته؛ إنما يتحدد معناه في حالة اتصاله بجملة توضح المقصود منه، كونه اسم يربط بين جملتين لا يتم معنى الأولى دون الثانية ويقسم إلى نوعين: مختص ومشترك.

الاسم الموصول الخاص: هو "ما وضع لكل من المفرد والمثنى والجمع مذكرا أو مؤنثا خاصا به الذي، اللذان، الذين، اللتان، اللات، اللائي ..."[26].

وظف الشاعر الاسم الموصول بصورة قليلة في قصيدة "حالة حصار"، ومن بين المواضع التي ذكر فيها قوله:

أنا آخر الشعراء الذين

يؤرقهم ما يؤرق أعدائهم[27].

هذا المقطع الشعري يحوي على دلالات تداولية جمة؛ استخدم الشاعر فيها الاسم الموصول المختص بصيغة الجمع (الذين)، حيث أشار من خلاله إلى اشتراكه مع مجموعة من الشعراء في نفس الأفكار والاهتمامات؛ خاصة فكرة إهمال العدو وعدم الاعتراف بوجوده وأحقيته؛ وإنما التركيز على إيجاد الحلول المناسبة لمجابهته والقضاء عليه، فأحيانا قوة الكلمة تحدث وقعا كبيرا مثل وقع السلاح فكما يستطيع الثوري الكفاح في المعركة والانتصار كذلك المفكر والشاعر والأديب يمكنه إحداث ثورة فكرية على العدو وزعزعة نظامه.

تسمح الإشاريات الشخصية للمتعلم بالوقوف على المقاصد الخفية الموجودة في النص وتمكنه من اكتشاف مدلولها الوظيفي وبعدها الحقيقي، فالضمائر ليست أدوات لغوية تعبر عن الذات المتكلمة أو المخاطبة فقط، بقدر ما هي علامات لغوية تسهم في تماسك النص والتحامه، والتعرف على دلالتها الاستعمالية يمكن المتعلم من إنتاج خطابات لغوية تؤثر في المتلقي.

2.3 الإشاريات الزمنية:

هي العلامات اللغوية التي "تحيل إلى زمن أحداث الخطاب والزمن نوعان: زمن نحوي وزمن كوني، والنحوي زمن الجملة والكوني الظروف التي تحيل إلى العالم الخارجي مِثّل: الظروف وأسماء الوقت والزمن التي يكون تقديرها في العالم الخارجي"[28]، ويمكن القول بأن" الزمان يتأسس ابتداء من اللحظة التي يتحدث فيها المتكلم"[29]، فعنصر الزمن يتضح عن طريق مجموعة من القرائن التي تدل عليه وتعبر عن زمن التلفظ، وتقسم الإشاريات الزمنية إلى:

1.2.3 ظرف الزمان المبهم: المبهم من ظروف الزمان "ما دل على قدر من الزمان نحو: الحين اللحظة، الوقت"[30].

تخللت قصيدة حالة حصار لمحمود درويش كثير من ظروف الزمن المبهمة التي اختلفت معانيها من مقطع شعري لآخر حسب السياق الذي وردت فيه، ومن نماذج ذلك قول شاعرنا:

في الحصار، تكون الحياة هي الوقت

بين تذكر أولها ونسيان آخرها

في الحصار، يصير الزمان مكانا

تحجر في أبده[31].

وظف الشاعر ظرفا الزمان المبهم (الوقت) (الزمان)، إذ يشيران تداوليا إلى أن زمن انتهاء الحصار ليس معلوما ومحددا بعد، لهذا ستكون الحياة صعبة بين تذكر بداية الحصار وبين نسيان المعاناة والوجع الكبير الذي ذاقه الشعب الفلسطيني أثناء الحصار، وهذا الأمر صعب فكرة التأقلم في مكان محاصر حيث لا يشعر الفرد فيه بالحرية بل العكس تماما يحس بالقيد، فيصير الزمن متوقفا متحجرا لا يمر إطلاقا، فاليوم كمدة يمر بألف سنة.

ويقول أيضا:

بماذا يفكر من هو مثلي، هناك

على قمة التل منذ ثلاثة آلاف سنة

في هذه اللحظة العابرة؟

فتوجعني الخاطرة[32].

تتضح القيمة التداولية للإشارات الزمنية الواردة في هذا المقطع (اللحظة، منذ ثلاثة آلاف سنة) في الأفكار التي يرغب الشاعر إيصالها وتوضيحها منذ أمد بعيد؛ وتتمثل هذه الأفكار في إيجاد السبل الشرعية لتخليص بلاده من الوضع الذي آلت إليه في ظل غفلة العرب عن القضية الفلسطينية وسكوتهم عن التجاوزات لا إنسانية المرتكبة في حق الشعب الفلسطيني، فالشاعر يعيش ضغطا نفسيا كبيرا يريد التخلص منه بأي طريقة كانت، خاصة اللحظات التي يفكر فيها في المستقبل الغامض تزيد من نار ألمه وخوفه من خسارة وطنه.

2.2.3 ظرف الزمان المختص (غير المبهم): وهو "كل ما دل على مقدار معين محدود من الزمان ومثال ذلك: الشهر، السنة، اليوم، العام، الأسبوع"[33].

عمد الشاعر إلى توظيف ظروف الزمان المختصة غير مبهمة في مواضع عدة من القصيدة وورد ذلك في قوله:

بلاد على أهبة الفجر.صرنا أقل ذكاء

لأنا نحملق في ساعة النصر:

لا ليل في ليلنا المتلألئ بالمدفعية

السماء رصاصية في الضحى

برتقالية في الليالي[34].

تجلى في هذا المقطع الشعري إشارات زمنية تحمل دلالات تداولية متنوعة ومختلفة (الفجر، الساعة، الضحى، الليل) هذه العناصر الزمنية أحالت إلى الوضعية اليومية الاجتماعية كيف يقضيها الشعب الفلسطيني المحروم من كل مظاهر الأمن والراحة، حتى النوم خوفا من مباغتة وغدر العدو الظالم، فهو يعيش على صوت المدافع والقذائف منذ وقت طويل حيث تعود على صور الهدم والدمار، إذ أصبحت جزءا لا يتجزأ من ذاكرته.

وفي مقطع آخر يقول محمود درويش:

كلما جاءني الأمس، قلت له:

ليس موعدنا اليوم، فلتبتعد

وتعال غداً![35]

دلّ الملمح الإشاري الزمني (الأمس، الغد) من الناحية التداولية على رغبة الشاعر في التخلص من الماضي الأليم الذي يزعجه ويرغب في نسيانه، وبين التطلع إلى المستقبل والتفكير في الغد الذي يحمل مظاهر الأمل والسكينة ومظاهر العيش الكريم والحرية بمعناها الحقيقي، وهي ثنائية ضدية يحاول الشاعر كسرها وتجاوزها.

تساعد الإشاريات الزمنية المتعلم على استنطاق ما تحتويه النصوص من متضمنات ومعاني تعبر عن الزمن، وهذا ما يعينه الوصول إلى كنه النص المدروس واكتشاف خفاياه، فمثلا جل القرائن الزمنية التي وظفها الشاعر محمود درويش في نصه تعبر عن مظاهر الألم والمعاناة الشديدة التي يعيشها، ففهم المتعلم لهذه الدلالة يمكنه من إدراك أن الأدوات الزمنية تتجاوز معناها العادي لتكتسي أبعاد جديدة عميقة تفهم من سياق النص.

3.3 الإشاريات المكانية:

يحتل عنصر المكان أهمية كبيرة في تأسيس بنية الخطاب وتفهم دلالته من خلال السياق و الإشاريات المكانية عموما هي : "عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان التكلم ووقت التكلم أو على مكان آخر معروف للمخاطَب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا وبعدا أو جهة"[36]، وعليه فالإشاريات المكانية عبارة عن علامات لغوية تحدد وتوضح المكان الذي تمت فيه عملية التخاطب، وتندرج تحت عنصر الإشاريات المكانية أسماء الإشارة ك (هنا وهناك) وتختلف دلالتها من القريب إلى البعيد، إضافة إلى ظروف المكان المعروفة التي قسمها علماء اللغة إلى قسمين رئيسين: ظروف المكان المختصة وظروف المكان غير المختصة.

وقد وظف الشاعر محمود درويش الإشاريات المكانية في مدونته الشعرية ليعبر من خلالها عن شدة ارتباطه بأرضه، حيث أدرجها بما يتناسب مع دلالتها ومن أبرز الإشاريات المكانية الموظفة في هذا المتن الشعري أسماء الإشارة الدالة على المكان كهنا وهناك ...وتختلف مدلولاتها حسب السياق الذي ترد فيه.

يقول الشاعر في مطلع قصيدته:

هنا، عند منحدرات التلال، أمام الغروب

وفوهة الوقت.

هنا، عند مرتفعات الدخان، على درج البيت

لا وقت للوقت[37].

استخدم الشاعر اسم الإشارة (هنا) الذي عبر تداوليا عن دلالة القرب، فالشيء القريب الذي يتحدث عنه الشاعر هو بلاده الحبيبة ووطنه الغالي، وهذا إن دل عن شيء إنما يدل على شدة الارتباط والتعلق بالأرض؛ وهي فكرة مرسخة في ذهن أي فرد حيث يتولد شعور الوطنية بمجرد الإحساس بالخطر والشعور بضياع الوطن؛ لأن الوطن يمثل الملجأ الوحيد والمكان الآمن الذي يشعر فيه الفرد بالاطمئنان والراحة.

تكرر اسم الإشارة هنا أيضا في قول الشاعر:

هنا، بعد أشعار أيوب

هنا، لا أنا

هنا، يتذكر آدم صلصاله...[38]

يحمل اسم الإشارة (هنا) كذلك معنى القرب (قرب الشاعر من أرضه)، فالشاعر وظف رموز دينية كسيدنا "أيوب عليه السلام" الذي يضرب به المثل في الصبر والتحمل، فقد ابتلاه الله بالمرض ومع ذلك ظل مؤمنا صابرا راضيا بقضاء الله وقدره، وهذا ما يرمي الشاعر إليه لوجود علاقة بين القضيتين؛ فالشعب الفلسطيني لا بدا عليه من تحمل المصائب والصبر على المكائد بخطى ثابتة

والتحلي بالإيمان وقوة العزيمة على التخطي، أما عن سيدنا "آدم عليه السلام" فقد وظفه الشاعر ليعبر به عن أصل الإنسان الذي خلق من طين وتراب، ونهاية أي فرد تكون في التراب وكأن الشاعر يرغب في تأكيد حقيقة أن الموت لا مفر منه، فهو مصير أي إنسان مهما كانت صفته.

ظرف المكان المبهم: هو " كل اسم دل على ظرف مكان غير معين أو محدود ومن ذلك الجهات الأصلية والفرعية وهي: أمام، خلف، يمين، شمال"[39].

ورد ظرف المكان المبهم في قصيدة "حالة حصار" بشكل بارز ومن ذلك قول محمود درويش:

لنا إخوة خلف هذا المدى

أخوة طيبون، ينظرون إلينا ويبكون[40].

أشار ظرف المكان المبهم (خلف) في هذا المقطع إشارة بعدية إلى جهة الشرق؛ التي ترمز إلى الدول العربية التي تجمعهم روابط أخوة ومشاعر حب مع الشعب الفلسطيني؛ فالقدس تمثل أحد المعالم الدينية الإسلامية ومهد الحضارات والديانات، لذلك تحتل القضية الفلسطينية مكانة خاصة في وجدان العرب، وتبقى أهم أمانيهم رفع شعار فلسطين دولة عربية إسلامية حرة مستقلة.

وفي سياق آخر ورد ظرف المكان المبهم (تحت) في قول الشاعر:

كل موت وإن كان منتظر

هو أول موت

فكيف أرى قمرًا

نائمًا تحت كل حجر[41].

دل ظرف المكان (تحت) من الناحية التداولية على مشهد مرعب صوره الشاعر، يتمثل في كثرة الموتى والقتلى المتناثرة أجسادهم في كل مكان؛ فالشاعر جسد هذا الشهيد في صورة القمر المنير الذي يضيء ظلمة الليل الحالكة بنور مشع، إذ طغت نبرة الحزن والحسرة في روح محمود درويش على هذا المنظر المخيف الذي أثلج فؤاده وزاد في ولعته على فراقه، حتى وإن لم يكن من أقاربه ولكنه ابن بلده مات من أجل وطنه، وهذا ما يعزز روح الأخوة الوطنية بين الأشخاص.

ظرف المكان المختص: هو "كل اسم دل على مكان معين محدود بحدود أربعة مثل: المدرسة الملعب، الجنة"[42].

ظروف المكان المختصة وردت بشكل قليل جدا في المدونة بالمقارنة مع أسماء الإشارة وظروف المكان المبهمة، ومن ذلك ما ورد في قول محمود درويش:

لا صدى هوميري لشيء. هنا جنرال

ينقب عن دولة نائمة

تحت أنقاض طروادة القادمة[43].

استخدم الشاعر ظرف مكان مختص متمثل في كلمة (طروادة) التي تحمل بعدا تداوليا، فهي تشير إلى رمز تراثي قديم؛ وهي مدينة تركية حوصرت من قبل الإغريق ودام حصارها عشرة سنوات لكن جنود الإغريق ابتدعوا حيلة ذكية مكنتهم من الولوج إلى داخل المدينة وفك الحصار والسيطرة عليها؛ وتمثلت تلك الخدعة في بناء حصان خشبي ذو جوف عميق، استطاع الجنود الاختباء فيه وأوهموا أهل "طروادة" بأنهم انسحبوا، وأن هذا الحصان عبارة عن هدية من أجل الهدنة والسلام فالشاعر باستحضاره لهذه الواقعة التاريخية يمرر رسالة تحذير ونصح للشعب الفلسطيني من تجنب الوقوع في الفخ نفسه والخطأ ذاته وبالتالي الهزيمة والخسارة.

إن معرفة المقاصد الخفية للإشاريات المكانية في النص يمكن المتعلم من فهم الخطاب بشكل صحيح وواضح، إذ تختلف دلالة المكان حسب الظرف المستعمل، فمثلا (هنا) تعبر عن القرب و(هناك) تعبر عن البعد، فإدراك المتعلم لهذا الاختلاف يجعله يتلقى النص التعليمي بأسلوب مختلف ويكتسب القدرة على توظيف الإشاريات المكانية في إنتاجه الشفهي أو الكتابي تتخطى مفهوم الإطار المكاني الخارجي إلى أغراض وغايات ضمنية مختلفة.

خاتمة:

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يأتي:

– يؤدي نشاط النص الأدبي دورا بالغ الأهمية في تحسين مستوى المتعلم التفكيري والتعبيري، خاصة إذا تما تدريسه بطريقة تداولية تمكن المتعلم من تناول النصوص برؤية مختلقة تتجاوز النمطية السائدة في التعليم، وهذا التجاوز يمكن المتعلم من أداء دوره الفعال فيتعلم ليتصرف.

– قصيدة "حالة حصار" تحمل بين ثناياها معاني ودلالات الانتماء والتحدي والسلم، إضافة إلى مظاهر الحزن والأسى التي تخللت أبيات القصيدة؛ حيث وظف الشاعر الإشاريات بأنواعها المختلفة ليعبر بها عن مقاصده التي يرغب في إيصالها إلى المتلقي(المتعلم)، فقد عبرت الإشاريات الشخصية المتمثلة في استخدام الشاعر لضمائر المتكلم والمخاطَب والغائب عن ذاتية الشاعر وحضوره واشتراكه مع شعبه في المصير نفسه والمعاناة ذاتها؛ وهذا ما يعزز روح الانتماء والوحدة والصمود التي أراد محمود درويش تبليغها للمتلقي(لمتعلم) باعتباره جزءا لا يتجزأ من وطنه. كما عبرت الإشاريات الزمنية كذلك على شدة القهر والظلم الذي يتكبده الشعب الفلسطيني كل يوم في كنف همجية الكيان الصهيوني المحتل ورغبته في امتلاك الأراضي الفلسطينية والسيطرة عليها وطمس الهوية العربية والقضاء عليها، في مقابل ذلك دلت الإشاريات المكانية على تعلق الشاعر وحبه اللامحدود لأرضه ورغبته الجامحة في نيل الحرية واسترجاع السيادة والكرامة والعيش بأمان واستقرار.

الهوامش والإحالات:

[1] _ عبد العالي إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دار المعارف، ط4، القاهرة، دت، ص250.

[2] _ وزارة التربية الوطنية، كتاب اللغة العربية وآدابها، شعبة آداب وفلسفة، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، دط، 2013-2014، ص02.

[3] _اللجنة الوطنية للمناهج، الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي (اللغة العربية وآدابها)، ماي 2006، ص02.

[4] _ عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص253.

[5]_ فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، مصر، 2001، ص 136.

[6]_ ظافر عبد الهادي، استراتيجية الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1، بيروت، لبنان، 2004، ص 80.

[7]_ المرجع نفسه، ص 82.

[8]_ عبد العزيز صابر عبد العزيز، العناصر الإشارية في قصيدة ارحل وعارك في يديك لفاروق جويدة، مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا، العدد38، المجلد 1، 2018، ص 233.

[9]_ الكتاب المدرسي، اللغة العربية وآدابها، ص101.

[10]_ المرجع نفسه، ص101.

[11]_ محمود درويش، ديوان حالة حصار، رياض الريس للنشر، ط2، بيروت، لبنان، 2002ص39.

[12]_ الكتاب المدرسي، اللغة العربية وآدابها، ص102.

[13]_ محمود درويش، ديوان حالة حصار، ص32.

[14]_ الكتاب المدرسي، اللغة العربية وآدابها، ص101.

[15]_ محمود درويش، ديوان حالة حصار، ص35.

[16]_ هادي حسن حمودي، أساليب التعبير عند الخليل بن أحمد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2012، ص185.

[17]_ لكتاب المدرسي، اللغة العربية وآدابها، ص102.

[18]_ محمود درويش، ديوان حالة حصار، ص29.

[19]_ المرجع نفسه، ص 42.

[20]_ محمد الحلواني، الواضح في النحو، دار المأمون، ط6، دمشق، سوريا، 2000، ص 52.

[21]_ محمود درويش، ديوان حالة حصار، ص47.

[22]_ عباس حسن، النحو الوافي، الجزء 1، دار المعارف، ط1، مصر، دت، ص 255.

[23]_ الكتاب المدرسي، اللغة العربية وآدابها، ص102.

[24]_ محمود درويش، ديوان حالة حصار، ص32.

[25]_ محمد الحلواني، الواضح في النحو، ص 42

[26]_ أحمد مختار عمر وآخرون، النحو الأساسي، منشورات دار السلاسل، ط4، الكويت، 1994، ص 47.

[27]_ محمود درويش، ديوان حالة حصار، ص36.

[28]_ محمود عكاشة، البراجماتية اللسانية (التداولية)"دراسة في المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، ط1، القاهرة 2013، ص 85

[29]_ ذهبية حمو، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر، المدينة الجديدة، ط2، تيزي وزو، 2012، ص 124.

[30]_ أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، دت، ص 205.

[31]_ محمود درويش، ديوان حالة حصار، ص74.

[32]_ الكتاب المدرسي، اللغة العربية وآدابها، ص102.

[33]_ محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنية بشرح مقدمة الآجرومية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دط، قطر، 2007 ص149.

[34]_ الكتاب المدرسي، اللغة العربية وآدابها، ص101.

[35]_ المرجع نفسه، ص102.

[36]_ محمود أحمد، نخلة آفاق في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعة الإسكندرية، دط، مصر، 2000، ص 21.

[37]_ الكتاب المدرسي، اللغة العربية وآدابها، ص101.

[38]_ الكتاب المدرسي، اللغة العربية وآدابها، ص 101

[39]_ أحمد عبد المنعم يوسف وسليمان محمود قنديل، معا لدراسة قواعد النحو والصرف، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع ط1، القاهرة، مصر، 2015، ص 234.

[40]_ محمود درويش، ديوان حالة حصار، ص33.

[41]_ المرجع نفسه، ص 21

[42]_ أحمد عبد المنعم يوسف وسليمان محمود قنديل، معا لدراسة قواعد النحو والصرف، ص 234.

[43]_ الكتاب المدرسي: اللغة العربية وآدابها، ص 102.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. وزارة التربية الوطنية، كتاب اللغة العربية وآداها للشعبتين فلسفة ولغات أجنبية، الديوان الوطني للمطبوعات، دط، 2014/2013.

– المراجع:

أ. الكتب العربية:

1– أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، دت.

2– أحمد عبد المنعم يوسف وسليمان محمود قنديل، معا لدراسة قواعد النحو والصرف، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة مصر، 2015.

3– أحمد مختار عمر وآخرون، النحو الأساسي، منشورات دار السلاسل، ط4، الكويت، 1994.

4– ذهبية حمو، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر، المدينة الجديدة تيزي وزو، ط2، 2012.

5– ظافر عبد الهادي، استراتيجية الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1، بيروت، لبنان، 2004.

6– عباس حسن، النحو الوافي، الجزء 1، دار المعارف، ط1، مصر، دت.

7– عبد العالي إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دار المعارف، ط4، القاهرة، دت.

8– فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، مصر، 2001.

9– اللجنة الوطنية للمناهج، الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي(اللغة العربية وآدابها)، ماي 2006.

10– محمد الحلواني، الواضح في النحو، دار المأمون، ط 6، دمشق، سوريا، 2000.

11. محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنية بشرح مقدمة الآجرومية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دط، قطر، 2007.

12– محمود أحمد، نخلة آفاق في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعة الإسكندرية، دط، مصر، 2000.

13– محمود درويش، ديوان حالة حصار، رياض الريس للنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 2002.

14– محمود عكاشة، البراجماتية اللسانية (التداولية)"دراسة في المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، ط1، القاهرة، 2013.

15– هادي حسن حمودي، أساليب التعبير عند الخليل بن أحمد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2012.

ب- المجلات:

1- عبد العزيز صابر عبد العزيز، العناصر الإشارية في قصيدة ارحل وعارك في يديك لفاروق جويدة، مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا، العدد38، المجلد1، 2018م.